

## لمحة عن المساجد الأثرية في محافظة مسقط (سلطنة عُمان)

### ■ مديحة الجلاصي

تشتهر سلطنة عُمان بإسلام أهلها المبكر،  
بحيث اعتنق أهلها الإسلام في حياة  
النبي ﷺ في القرن السادس للميلاد، ويعدّ «مازن بن  
غضوبة» أوّل من قابل من أهل عُمان الرسول ﷺ ومن  
ثمة أسلم بين يديه ليبدأ الدين الجديد في الانتشار  
منذ ذلك العهد عند قوم مازن في مدينة سمائل في  
السنة السادسة للهجرة.

وقد أتى الرسول ﷺ على إسلام أهل عُمان الطوعي  
ودماتة أخلاقهم في عديد المناسبات، فتارة نجده  
يستبشر بهم فيعلن: «سيزيد الله أهل عُمان إسلاماً»<sup>1</sup>،  
وتارة أخرى يدعو لهم بالخير ويقول: «رحم الله أهل  
الغبيرة آمنوا بي ولم يروني».

1 - سالم البوسعيدي، الرائع في التاريخ العُماني، مكتبة الأنفال،  
سلطنة عُمان، الجزء الأول، ص 165.



وقد شرع الصحابي الجليل مازن بن غضوبة برفقة مجموعة من الصحابة العُمانيين والذين فاق عددهم العشرين صحابياً في نشر الإسلام في كل أصقاع عُمان، واستعصت عليهم آنذاك صحار العاصمة، التي كانت تخضع لملوك آل الجلندي، ولا تزال الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ، والتي يدعوهم فيها إلى الإسلام الطوعي والسلمي محفوظة حتى الآن.

ظل الإسلام مستقراً في المنطقة، والتزم أهلها بتعاليم الدين الجديد.

وبعد وفاة الرسول ﷺ، أرسل أبو بكر الصديق سنة 629 للميلاد عمرو بن العاص إلى عُمان، وأمره بمنح أهلها الزكاة وتوزيعها على الفقراء منهم بدلاً من إرسالها إلى بيت مال المدينة<sup>1</sup>.

وحتى تنشر الدعوة في أفضل الظروف، وتعلن تعاليم الإسلام وفرائضه وسننه، كان لا بد من الاهتمام بتشديد المساجد والجوامع ونشرها في مختلف أصقاع البلاد، والجدير بالذكر أن «مسجد المضمار» - الواقع بولاية سمائل موطن الصحابي مازن بن غضوبة السعدي - يعدّ أول مسجد بني في عُمان، وقد أنشأه صاحبه بعد عودته من عند رسول الله في السنة السادسة للهجرة، ولا يزال المسجد إلى يومنا هذا محتفظاً بمقره رغم التحويلات الهيكلية التي عرفها.

مكّن ظهور الدين السريع في المنطقة من جعلها مرتبطة بصفة مباشرة بدولة الخلافة فعابنت عن قرب التطورات السريعة المذهبية

1 - J.C. WILKINSON, The Julanda of Oman, the journal of Oman studies, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1975, p. 100 and L. Caetani Jannali de l'Islam, Hidesheim-new York 1972, PP. 776- 779.

والسياسية والاجتماعية، والتي نجد صداها واضحاً في المعمار الديني بحيث مثلت المساجد نقطة الإشعاع الأولى، فعرفت أعدادها تطوراً مطرداً خاصة بعد ظهور «الإمامة المبكرة»، وانتشار الفكر الإباضي<sup>1</sup> الذي ظهر في البصرة، وانتشر بسرعة في عُمان نظراً لاحتكاك «قبائل الأزدي» العُمانية بأئمتهم أثناء تواجدهم بالبصرة فترة الفتوحات الإسلاميّة الأولى.

فانتشرت المساجد انتشاراً كبيراً في مختلف أنحاء البلاد؛ بحيث «لم يبق هناك من قرية أو حيّ في مدينة إلا وشيد بها مسجد صغير أو كبير، يؤثر في حياة الجماعة الروحية منها والاجتماعية»<sup>2</sup>.

غير أن الكتابات المؤرخة للمساجد الأثرية - التي تعود لفترة الإسلام المبكرة - واتسمت بشحّها وشدّة ندرتها في كتابات الرحّالة وكتب الجغرافيا، فلم نقع في أحيان كثيرة إلا على وصف موجز لمباني المساجد؛ «بل لم يصفها أي كاتب على وجه تفصيلي على وجه الإطلاق»<sup>3</sup>، أمّا الصور التي توثق لهذه المساجد فهي قليلة جداً، ولا تكاد تذكر؛ بل هي منعدمة تماماً فيما يخصّ مساجد الداخل.

1- ولمزيد من التفاصيل ينصح بالرجوع إلى مؤلفات كل من: محمد رشيد العقيل: «الإباضية في عُمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول». ونور الدين عبد الله بن حميد السالمي: اللمة المرضية في أشعة الإباضية، سيدة إسماعيل الكاشف «عُمان في فجر الإسلام».

T. LEWICKI. «al-Abadiyy» in Encyclopedie de l'Islam. ledye - Paris.

M.M. MORENO «Note di Teologia I ima., mato Iba-dita dell «Oman-m».

2- بلديسيرا ايروس، الكتابات في المساجد العُمانية القديمة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، الطبعة الأولى 1414هـ/1993م، ص 13.

3- باولو كوستا، المساجد التاريخية في عُمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مارس 2003، ص 67.



ولم تتم عمليّات الكشف والتنقيب ميدانياً إلا لعدد قليل من المساجد التي تعود لفترة مبكرة لانتشار الإسلام في عُمان، وقد تمركزت أساساً في «محافظة ظفار»، وأمّا المساجد التي تعود لفترات لاحقة، فكما أسلفنا الذكر - رغم وجودها وتوزّعها في مختلف المناطق والمحافظات - ظلت لقرونٍ مجهولةً ولم يتم التطرق إليها إلا نادراً من قبل الباحثين والمستكشفين العرب وغيرهم.

ويمكن رد هذه الندرة في التأليف والتأريخ إلى سببين رئيسين:

**الأول:** - وهو المعني بالتأريخ والتدوين - يعود بالأساس إلى شدة بساطة بناء أغلب المساجد العُمانية الأثرية مما أكسبها مظهراً متقشفاً خالياً من السمات البارزة التي اشتهرت بها المساجد الإسلامية في عصرها.

ف«الرحالة أُلّفوا المساجد الضخمة في القاهرة أو المباني المنمّقة في دمشق وبغداد وأصفهان، تلك المباني المزخرفة المكسوة بالأجر أو الفسيفساء أو الزجاج أو الذهب، أما في مساجد عُمان البسيطة الخالية من الزخارف، والتي تتسم بتواضع معمارها فإنهم لم يجدوا فيها ما يستدعي انتباه المرء أو دهشته، أما الذين أتى في حسابهم أن هذه المساجد التي بنيت بالطوب غير المحروق يبلغ عمرها ثمانمائة عام أو يزيد فما أقلهم»<sup>1</sup>؛ بل إن العديد منهم لم يتوصلوا في أحيان كثيرة إلى تمييز المساجد الإباضية عن المباني ذات الطابع الاجتماعي بسبب خلوها من المنارات والمحاريب، فظننها عند أغلبهم بيوتاً أو محلاتٍ سكنية أو تجارية.

1- باولو كوستا، مساجد عُمان وأضرحتها التاريخية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، سلطنة عُمان 2006، ص 12.

وأما السبب الثاني فيمكن تفسيره بالعودة إلى طبيعة المبنى نفسه، إذ أن أغلب المباني بنيت من مادة سريعة التلف مثلها كمادة أساسية الصاروج الطيني، وهو مادة هشّة غير قادرة على تحمل تقلبات الطبيعة والتحوّلات المناخية و«نظراً لسهولة تفتتها فقد صمد وللأسف القليل فقط من هذه الأبنية المقدسة»<sup>1</sup>، فلم تقاوم أغلب المساجد الأنواء المناخية كالمطر والرياح، واتجهت تدريجياً نحو التلف والانحيار، وبسبب هذا الغموض وهذه الندرة عدت عملية دراسة المساجد الأثرية في السلطنة من قبل الباحث والأثريّ تاريخاً ووصفاً: «اكتشافاً حقيقياً، وكنزاً معمارياً دفيناً»<sup>2</sup>، سنحاول إمطة اللثام عنه.

إنّ مساجد عُمان  
البسيطة الخالية من  
الزخارف، والتي تتسم  
بتواضع معمارها صرفت  
الرّحالة الأوائل عن أن  
يجدوا فيها ما يستدعي  
انتباه المرء أو دهشته

ونظراً لامتداد مساحة السلطنة وعراقة تاريخ كل محافظاتنا، كان لا بدّ من تخصيصها بالدرس، حيث وقع اختياري على العاصمة المركزية مسقط من أجل تسليط الضوء على مساجدها الأثرية.

فما هي أصناف المساجد الأكثر شيوعاً في مسقط؟ وما هي أبرز خصائصها الفنية والهندسية؟ ما هو سر صمود بعض منها دون غيرها على مدى القرون؟ وكيف حافظت على خصوصياتها وتفرّدتها في ظل التغيّرات والتطوّرات المتلاحقة؟

وسنركز اهتمامنا في الجانب المعماري على الأسباب المؤدّية لتنوّع أصناف المساجد، وذلك من خلال تتبّع سيرورتها وصورورتها التاريخيتين.

1- بلديسيرا ايروس، الكتابات في المساجد، م، ص 14.

2- باولو كوستا، المساجد التاريخية م م ص 7.



إذ تتوزع في الولايات الستّ لمسقط - وهي على التّوالي: مسقط، السيب، بوشر، مطرح، قريات، العامرات - مساجد متعددة متنوعة الهندسة مختلفة الأشكال والبنى بحيث تواكب اختلافاتها انتماءاتها الفكرية والمذهبية من ناحية، والتلاقح الحضاري والثقافي من ناحية ثانية. وهو ما أدى إلى تنوع النسيج العمراني الديني.

وقد تمكّننا من خلال القراءات والبحث الميداني من الكشف عن عدد كبير من المساجد الأثرية في مختلف ولايات المحافظة، سنحاول التعريف ببعضها وذكر أهم خصائصها الهندسية والمعمارية. ومن هذا المنظور، يمكن تصنيف المساجد في مسقط إلى صنفين: مساجد الداخل، ومساجد الساحل.

## 1 - مساجد الداخل:

يجسد الصنف الأول مساجد الداخل المحافظة، التي يشبه بعضها بعضاً، وعادة ما تكون داخلية الموقع وإباضية المذهب، تتسم في الغالب ببساطة المظهر وتكشف الهندسة؛ إذ تتميز هذه المساجد ببساطة تقنيات بنائها، وبمحدودية مساحتها، وندرة مظاهر الزينة في جدرانها وواجهاتها. فقد استخدم الصاروج الطيني كمادة أساسية في التشييد والبناء، وعادة ما تخلو هذه المساجد من المحاريب البارزة والمنارات الشاهقة أو أية سمات معمارية أخرى عهدتها عمارة المساجد الإسلامية ككوّة المحراب والقباب الناتئة.

وهي مساجد صغيرة الحجم، بحيث تتمثل الوحدات المعمارية الرئيسة عادة في الصرح الخارجي وقاعه الصلاة الرئيسة، حتى أنها عدت من قبل الزائرين - من رحالة وجغرافيين وغيرهم - بيوتاً سكنية كما أسلفنا الذكر.

ولا تزال بعض هذه المساجد صامدة ومحافظة على خصائصها المعمارية الأصلية، رغم التطورات والتدخلات الحاصلة، ونظراً لعددتها الكبير تخيرت اثنتين من كل صنف، في محاولة منا للوقوف على السمات المشتركة لكل منها.

### أ - مسجد بيت المقحم:

يجاور المسجد «بيت المقحم» أو ما يطلق عليه «البيت الكبير»، والذي يعدّ من المعالم الأثرية العريقة النادرة في ولاية بوشهر.

ينسب بناء المسجد إلى «السيدة ثريا بنت محمد بن عزان» والتي أمرت بتشيدده في القرن الثاني عشر للهجرة بجانب «بيت المقحم».

يتقدم المعلم فلج مائي متصل بالمیضاة، اتخذ المبنى شكلاً مربعاً تقريباً وهو محدود المساحة، يتم النفاذ إليه عبر مدرج حجري، متكون من ثمانية مستويات، يؤدي مباشرة إلى صرح محدود الاتساع، مربع الشكل، يتوسط جداره القبلي محراب غائر عبارة عن تجويف بسيط، مدبب العقده لا يتجاوز ارتفاعه 50 سنتمراً، يجاوره من الناحيتين: الشرقية والغربية بابان متوأمان خشبيان، يفضيان مباشرة إلى قاعة صلاة محدودة الاتساع، مربعة الشكل، أبعادها بين القبلة والجوف وبين الشرق والغرب (7م في 7م)، تشقها بين القبلة والجوف بآثكة من عقدين، ترتكز في الأطراف على أكتاف، وفي الوسط على أسطوانة حجرية يبلغ طولها 1م و60 سنتمراً وعرضها 75 سنتمراً.

يتقدم القسم الشرقي من الجدار القبلي قوسيين مدببا العقده، بينما تعلو كلاً من الجدارين الشرقي والغربي طاقات صماء، في حين يتوسط الجدار القبلي محرابٌ جصي غائر، لا يتجاوز طوله المترين



وعرضه المتر الواحد، وهو عبارة عن تجويفين أحاديي المركز، اتخذ الأصغر حجماً والأكثر عمقاً شكل حنية نصف دائرية أو ما يطلق عليه اسم «دخلة»، مستطيلة الشكل، تعلوها طاقة متجاوزة نصف دائرية مؤطرة بشريط ناتئ مُحلى بأشكال نصف دائرية، وأما التجويف الثاني الأكبر حجماً فقد اتخذ شكل الطاقة المستطيلة حليت أطرافها بزخارف بسيطة يدوية محفورة بالسكين وهي تقنية انتشرت في القرن السادس عشر تبرز تطور الأعمال الحرفية اليدوية لدى الحرفيين التقليديين العُمانيين.

وقعت عملية إعادة تسقيف المعلم بعوارض خشبية قَدّت من عوارض الكندل المتوازية مدعومة بطبقة سميكة من الطوب المكسو بالجص.

يتم الوصول إلى سطح المعلم عن طريق سلم خشبي قُدّ من خشب الكندل، يؤدي في نهايته إلى فتحة مثلثة الشكل، بصعوبة بالغة تمكّن شخصاً من المرور عبرها، تفتح مباشرة من ناحية السطح على «بريج مقبب» أو ما يطلق عليه «البومة»<sup>1</sup>، وتعدّ هذه التقنية المعمارية الميزة الثانية التي تنفرد بها المساجد الإباضية عن المعمار الديني في كل العالم الإسلامي بعد نتوء المحراب.

إذ نلاحظ في كل المساجد الإباضية تقريباً عدم بروز تجويف خارج جدار القبلة، وهذا الاختلاف البين الذي تنفرد به المساجد الإباضية عن النمط السائد يدل على التمسك بنمط البناء الأصلي لأيام الإسلام الأولى، بدءاً من هجرة النبي إلى المدينة حيث رفع الأذان فوق سطح المسجد دون وجود قباب أو منارات شاهقة، وقد بدأت هذه الأخيرة في

1- البومة: قبة صغيرة فوق سطح المسجد، يُخرج منها لإصلاحه، بلديسيرا، ابروس، الكتابات في المساجد العُمانية، م، ص 19.



الانتشار بعد حوالي قرن من هجرة النبي ﷺ ، وأصبح وجودها أساسياً في مختلف مساجد البلاد الإسلامية.

### ب - مسجد بيت العود:

إن الملاحظ في كل المساجد الإباضية عدم بروز تجويف خارج جدار القبلة... وهو يدل على التمسك بنمط البناء الأصلي لأيام الإسلام الأولى

يقع المعلم في قرية الخوض القديمة من ولاية السيب، يجاور المسجد «قلعة بيت العود»؛ والذي هو في ملك عائلة ابن عمير، والمسجد يعود تاريخه إلى أكثر من 3 قرون<sup>1</sup> مع القلعة المجاورة له؛ إذ يعود تاريخيهما إلى القرن السادس عشر، فقد كانت القلعة مركزاً دفاعياً في المنطقة التي

كانت تعدّ أحد المداخل الرئيسية للثلاث للمدينة، فاحتضنت الناس وشيدت المساكن والمحلات التجارية والمساجد... لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والدينية.

لذلك شكل انتشار القلاع ضرورة فرضتها ضغوطات داخلية وتوترات سياسية، جسدها مناخات القبائل الساعية لحياسة السلطة. وأما الضغوطات الخارجية فقد شكلها البرتغاليون في تلك الفترة، فقد أمل «الفونسو البوكيرك» وهو أحد القادة البرتغاليين في تكوين إمبراطورية عظمى في الشرق، فاحتل سقطرى واتخذها قاعدة لتنفيذ حصاره للبحر الأحمر وكان هدفه احتلال «هرمز» التي سيطرت آنذاك على تجارة الخليج، وقد أراد أن يعاقب في بداية المطاف الموانئ العُمانية التي لم

1- أفادنا أحد أحفاد الفاضل عبد الرحمن الهنائي بأن تاريخ المعلم يعود إلى 400 سنة تقريباً وقد أدخل عليه الجد الأكبر محمد بن عمير بعض التعديلات وذلك بحسب ما يمتلك من وثائق رسمية ومصادر أصلية.



تكن عرضة للسيادة الهرمزية فحسب بل كانت تتمتع بأهمية خاصة في كل أنحاء المحيط الهندي.

لذلك قام البوكير عام 1507 بتدمير كل سفينة عربية واجهها معلناً بذلك الحرب على كل معارضة للبرتغاليين في البحر، ولم تكن قريات ومسقط مسالمتين كقلهات<sup>1</sup>.

- يقع المعلم على قاعدة صخرية مرتفعة عن سطح الأرض بحوالي 4 أمتار، يجاوره من الناحية الشرقية فلج مائي، توزع مياهه للاستغلال الفلاحي والمنزلي؛ إذ عادة ما يرتبط بناء المسجد بفلج مائي أو نقطة تجمع للمياه لجلب البركة والفأل الطيب، وهو ما يطلق عليه «الشريعة»، فيمر الماء بالميضأة ويتدفق إلى القرية ليستخدم للغسيل أو لأغراض بيئية ثم لسقي النخيل أو الحقول الأخرى<sup>2</sup>.

ينفذ إلى المسجد عن طريق مدرج حجري مبني يؤدي في نهايته إلى صرح خارجي غير مسقف مستطيل الشكل محدود المساحة؛ بينما يتوسط الجدار الجوفي محراباً بسيط عبارة عن تجويف، لا يتجاوز ارتفاعه المتر الواحد وعرضه 30 سنتمراً، ويوجد على كل من شرقه وغربه مدخلان متوأمان تعلوهما طاقات نصف دائرية تحليها نقائش أصلية، يفتح المدخلان على بيت للصلاة مستطيل الشكل.

تعلو جداره الشرقي كوة إضاءة وتهوية، بينما يتمركز في كل من الجدارين الغربي والقبلي طاقتان غير نافذتين.

1- سير دونالد، عُمان ونهضتها الحديثة، منشورات مؤسسة ستايسي، المملكة المتحدة، لندن 1998، ص 43.

2- كوستا، باولو، مساجد عُمان...، م، ص 17.

اتخذ المحراب الداخلي شكلاً مغايراً عن الخارجي؛ إذ يبلغ ارتفاعه الثلاثة أمتار وعرضه المترين، يتكوّن من ثلاثة تجاويف متدرجة الأحجام، معقودة الكنة جميعها.

بينما يتمركز في الركن الشمالي لبيت الصلاة سلم خشبي ينتهي ببريج مقبب حيث السطح<sup>1</sup>.

## 2 - مساجد الساحل المزخرفة:

وهي المساجد الانتقائية التوليفية المتنوعة، والتموقعة بصفة خاصة على السواحل، تترجم أثر الاتصال والاحتكاك بالدول والشعوب المجاورة، الأمر الذي أثر أيما تأثير في المعمار الديني، فأبرز مساجد غير معهودة التصاميم والزخارف والأشكال.

### أ - مسجد بيت طالب:

يقع المعلم في «حلة الشجعية» من ولاية مطرح الساحلية حيث سوق مطرح القديم التجاري، ويعود تاريخ تأسيسه إلى أكثر من 80 عاماً، وهي فترة حكم السلطان سعيد بن تيمور (1932 - 1970).

يتألّف المسجد من طابقين، يحتل مساحة ممتدة تميل إلى الاستطالة بين الشمال والجنوب.

يقع النفاذ إليه من الواجهة الشرقية التي تفتح مباشرة على رواق يفضي بدوره من الناحية الشرقية إلى قاعتين للصلاة، ويؤدي في نهايته

1 - ينتشر هذا النموذج من المساجد العُمانية في مسقط وباقي المحافظات العُمانية الأخرى حتى أنها تكاد تكون جميعها طبقاً للأصل من حيث نمط البناء والوحدات المعمارية ونشير على سبيل الذكر لا الحصر إلى مسجدي «فتح البوسعيد» و«مسجد العوبينة» في ولاية بوشر، ومسجد «آل براشد» في سناو، ومسجد «بيت الدريدة» ببركة الموز بنزوى.



إلى الصحن الملاصق لقاعة الصلاة الأصلية، ويفتح بدوره جداره الغربي على محل سكني، وتحتل الميضاة الناحية الجوفية.

يفضي الرواق في نهايته إلى مدرج مبني يؤدي إلى الطابق العلوي.

ومما لا شك فيه أن المعلم - وحسب الوصف الموجز - تعرض لتحويرات كثيرة بحيث لا نكاد نلاحظ إلا وحدتين أصليتين هما بيت الصلاة والمنارة.

اتخذت المنارة شكلاً بارزاً ونادراً في تشييد المنارات في المنطقة، فهي مكونة من أربعة طوابق متدرجة، وقد جاءت على طراز مغولي، واتخذت شكلاً أسطوانياً، يتم الصعود إليها من خلال مدرج خشبي حلزوني، يحلي كل طابق أفاريز متجانسة من الحليات المعمارية أو ما يسمى «المقرنصات»، وحليت الطوابق بطاقات مدببة العقد، تحملها أعمدة حجرية مدمجة، توجت المئذنة في أقصاها بـ«المظلة الحجرية أو ما يعرف بالشاذوران» يعلوها الجامور.

ونجد امتداداً لهذا الأسلوب المعماري في قاعة الصلاة الأصلية المستطيلة الشكل، يتوسط جدارها القبليّ محراباً مجصص مزخرف بأشكال نباتية وزهرية منمقة، ويتمركز في كل من شرق وغرب المحراب طاقات مجصصة، في حين يخترق الجدارين الشرقي والغربي نوافذ مطعمة بالزجاج الملون.

يشق بيت الصلاة من الشمال إلى الجنوب ثلاث أقبية طولية.

اللافت للنظر أن التلاقح الحضاري والتواصل بين الشعوب، واستقرار بعضها في مسقط نتيجة العلاقات التجارية أو الاجتماعية... أفرز ظهور أساليب فنية جديدة في عمارة المساجد العُمانية، فمنذ

**إن التلاقح الحضاري  
والتواصل بين الشعوب،  
أفرز ظهور أساليب  
فنية جديدة في عمارة  
المساجد العُمانيّة**

القرن الرابع عشر بدأ التأثير والتأثير بين سكان القارة نفسها، فامتزجت الأساليب الفنية الصينية مع أساليب الفنون الإسلامية، حيث اتصل الفن الإسلامي الموجود في غرب آسيا لأول مرة بفنون الشرق الأقصى، ثم انتقل بعد ذلك إلى بعض أجزاء من العالم الإسلامي، فأثر التراث المعماري المغولي بالعمارة الإسلامية وخاصة عمارة المساجد حاملاً معه التقاليد الفنية المعمارية الجديدة<sup>1</sup> وأما بيت الصلاة الأصلي فقد عكس - من خلال الطاقات المخصصة والنوافذ الزجاجية المنمقة - فن الزخارف الذي حمله سكان غرب آسيا المستقرون أو القادمون إلى مطرح<sup>2</sup>.

### ب - مسجد الحمراء:

يقع مسجد الحمراء في ولاية مطرح الساحلية في منطقة جبروه. اشتهر المعلم بهذه التسمية؛ نظراً للطلاء الوردى للصاروج المحلي، الذي يكسو واجهاته الخارجية وجدرانه الداخلية والمحراب.

1- الأنصاري رؤوف، عمارة المساجد، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1996، ص 152.

2- استخدم المغول «الإليخانيين» في زخرفتهم للجدران الأسلوب الذي تميزت به إيران في عهد السلاجقة، وذلك بكسائها بطبقة من الجبس ذات زخارف متنوعة، وباستخدام النقش على الحجر والمقرنصات المعقدة في زخرفة العقود (الأقواس). ولعل أبداع ما أدخله العهد المغولي من الفنون هو أسلوب زخرفة المباني الدينية بالزخارف الخزفية، وهو عبارة عن استخدام قطع صغيرة من الفسيفساء والخزف البراق المتعدد الألوان في تغطية الواجهات والسطوح، بالإضافة إلى البلاطات الخزفية (القاشاني) المتعدد الألوان أيضاً، التي استخدمت بكثرة في العهد السلجوقي «الأنصاري رؤوف»، عمارة المساجد، م، ص 152.



كما يعرف كذلك باسم «مسجد العقبة»، وربما تعود هذه التسمية إلى وجود ممر جبلي سابق ضيق مجاور للمسجد.

تجاور المسجد مقبرة شاسعة المساحة تعرف باسم «ضريح جبروه». يرجع تاريخ المعلم إلى أربعة قرون تقريباً، وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل، محدود المساحة، يفتح من ثلاث جهات.

تعد الواجهة الشرقية الأبرز، وتخرق الواجهات الثلاث الأخرى ثلاثة مداخل متوأمة، تحملها عقود متعكسة الانحناء، مدمجة في الجدران وهي عبارة عن بوائك صنعت من قوالب الطابوق المهدمة، وأما الجهتان الشماليّة والجنوبيّة فهما متناظرتا الشكل تقريباً، تفتح كل واحدة منهما على مدخل وحيد معقود، في حين يتوسط جدار القبلة محراب عميق ناتئ خالٍ من النقوش والكتابات.

فالمعلم - رغم صغر حجمه وبساطة مظهره - يتميز بنمط معين من البناء يندر وجوده في المنطقة.

لا يزال المسجد مستغلاً إلى يومنا هذا في صلاة الفرائض الخمس من قبل عمّال «شركة المطاحن» المجاورة.

والجدير بالذكر أن المعلم لا يزال محافظاً على هيكلته الأصلية رغم تعرضه في عدة مناسبات إلى تدخلات متنوعة بنية التحسين والإصلاح والترميم، ومنها نذكر إحداث أبواب خشبيّة للمداخل، وطلاء الجدران والواجهات، وتشجير المنطقة المحيطة به.

وقد كشفت المعاينة الميدانيّة لواقع المساجد الأثريّة في مسقط عن تعرض العديد منها في أغلب الأحيان إلى تدخلات من جهات غير متخصصة علمياً وأثرياً، تسببت وللأسف في تشويهها أكثر من صيانتها.

ومن هنا نذكر على سبيل الذكر لا الحصر عمليات التوسعة وما تتطلبه من إحداث وحدات معمارية جديدة مشوهة لتخطيط المعلم الأصلي، كما هو الحال في «مسجد طالب»، و«مسجد مطيريح»، و«مسجد الكوثر» الموجودة جميعها في ولاية مطرح.

وتسببت كذلك عمليّة كساء الأرضيات وتبليط جدرانها بمواد بناء حديثة غير مناسبة لطبيعة مواد البناء الأصليّة في تعميق مشاكل الرطوبة وبروز تشقّقات وتصدعات، ممّا أدّى إلى تشويه المعلم، كما هو الحال في «مسجد نصيب خان بهادر» الواقع في ولاية مسقط، و«مسجد حلّة العود» الواقع في ولاية السيب وتحديداً في منطقة «الخوض القديمة».

وكان لأثر الطلاء المحدث في الواجهات والجدران انعكاسات سلبية جداً على صيانة المعالم بحيث تسببت في تعميق مشاكل الرطوبة المفتتة لمواد البناء الأصليّة والمهددة لسلامة بنية المعالم، ويكفي أن نشير إلى «مسجد الحمراء» الواقع في مطرح، و«مسجد العوينة» في ولاية بوشر.

ذلك أن أي تدخل غير مدروس في أي معلم أثري: ديني أو اجتماعي أو اقتصادي... سواء «بحذف أجزاء منه أو بإضافة عناصر جديدة منسوخة أو إعادة التركيب هو عمل يشوه المعلم لا يحميه»<sup>1</sup>.

من خلال ما تقدّم من تعريف موجز لبعض من المساجد العُمانية الأثرية الواقعة في محافظة مسقط نتبين أهمية تأثير الصيرورة التاريخية في فن عمارة المساجد.

1 - Boito (Camillo). Conserver ou Restaurer. Traduit par MANDOSOI (Jean marc). les editions de l'Imprimeur. Collection Tranches de villes.France, Novembre, 2000. P. 12.



فقد نتج عن التلاقح الحضاري والفكري بين الأجناس والشعوب واستقرار العديد منهم في هذه المنطقة الحيوية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً... ظهور أنماط حياتية جديدة، وتقنيات مستحدثة أثرت أيما تأثير في العمارة الدينية والتي جسّدتها المساجد بامتياز، فتحوّلت من مساجد بسيطة المباني ومتقشّفة الزخاف إلى مساجد ممتدة، منمقة النقائش والكتابات، متنوعة الوحدات، فأبرز كل ذلك تنوعاً فريداً ومميزاً في نسيج المساجد العُمانية الأثرية والذي لم يقتصر على محافظة مسقط فحسب؛ بل شمل مختلف المحافظات الثرية جداً بموروثها الديني والمعماري، ويكفي أن أشير هنا إلى مساجد محافظة ظفار وولاية نزوى.

غير أنه وعلى الرغم من هذه العراقة والأصالة الشديدة للمساجد الأثرية العُمانية فإنها وللأسف معرضة لخطر التشويه والتلف والانحثار في ظل التطورات والتحولات الطبيعيّة والبشريّة رغم الجهود المبذولة من الجهات المختصة الحكوميّة كوزارة التراث والثقافة ووزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة ووزارة السياحة.

وعلى هذا الأساس فإن الاشتغال على مدونة إحصائية لكل المساجد الأثرية في سلطنة عُمان - توثيقاً ووصفاً - يُعدّ ضرورة قصوى وأولوية لا بد منها.